

الهرمينوطيقا بين مشكلة المنهج وآليات الكشف عن الحقيقة عند هانز جورج غادامير  
- رؤية مستحدثة في قراءة النصّ ومساءلته -

The Hermeneutics between the Problem of Method and the Mechanisms of the Revelation of Truth According to Hans-Georg Gadamer  
-A new vision in the reading and questioning of the text -

L'herméneutique entre le problème de la méthode et les mécanismes de la révélation de la vérité selon Hans-Georg Gadamer

-Une nouvelle vision dans la lecture et le questionnement du texte -

الاسم عامر حفيظة<sup>1</sup>\*

تاريخ الإرسال: 2024/10/31 تاريخ القبول: 2025/05/21 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

شهدت الهرمينوطيقا تحولات كثيرة فهي بكلّ ما تحمله من حمولة معرفية كمنهج له انتماءه الثقافي والفلسفي تبحث في الكيفية التي يتم بها فهم النصّ، وإعطائه أبعاد وغايات دلالية وفق استراتيجية تأويلية محكمة، كما تجنح الممارسة التأويلية إلى التركيز على مفهومي اللغة والنصّ، وذلك لكون التأويل وثيق الصلة بقضايا اللغة أصبح مركز ثقل التفكير المعاصر، باعتباره فاعلية دلالية ونشاط معرفي وفلسفي لفهم الحياة، وبهذا استطاع التأويل فرض آلياته على الحقول المعرفية الدينية والأدبية والفلسفية من خلال استثمار آليات الفهم العميق للنصّ لتصبح مهمة الهرمينوطيقا محاولة فهم التجربة الإنسانية ككلّ، وأصبح التأويل له قواعد كلية لفهم النصوص وقد أخذ معناه يتسع خاصة مع غادامير الذي رسم للتأويل أفقا جديدا انتقل به من الميتودولوجيا إلى الإستيمولوجيا وهو البديل الذي يتواءم مع خصائص العلوم الإنسانية، وإعادة الاعتبار للمناهج الفلسفية التي تراجعت أمام المناهج العلمية.

الكلمات المفتاحية: التأويل. فهم; أسلوب; النص: الحقيقة; تجربة إنسانية.

**Abstract :**

Hermeneutics has witnessed many transformations, as it carries with all its cognitive load as an approach that has its cultural and philosophical affiliation looking at how the text is understood, and giving it semantic dimensions and objectives according to a tight interpretive strategy, and interpretive practice tends to focus on the concepts of language and text, because interpretation is closely related to language issues has become the center of gravity of contemporary thinking, as a semantic effectiveness and cognitive and philosophical activity to understand life, and thus interpretation was able to impose its mechanisms on the fields of religious, literary and philosophical knowledge through Investing in the mechanisms of deep understanding of the text to become the task of Hermeneutics trying to understand the human experience as a whole, and interpretation has become a total rules for understanding texts and its meaning has been expanding,

\*المؤلف المراسل : عامر حفيظة

<sup>1</sup> Amer Hafida, Tahar Mouley University of Saida: Algeria, haphilo.am@gmail.com

especially with Gadamer, who drew a new horizon for interpretation that moved him from mythology to epistemology, an alternative that is compatible with the characteristics of the human sciences, and to rehabilitate the philosophical methods that have declined in front of scientific methods.

**Keywords :** Hermeneutics; understanding; method; text:truth; human experience.

#### **Résumé :**

L'herméneutique a connu de nombreuses transformations, car elle porte avec toute sa charge cognitive une approche qui a son affiliation culturelle et philosophique en regardant comment le texte est compris, et en lui donnant des dimensions et des objectifs sémantiques selon une stratégie d'interprétation serrée, et la pratique interprétative tend à se concentrer sur les concepts de langage et de texte, parce que l'interprétation est étroitement liée aux questions de langue est devenue le centre de gravité de la pensée contemporaine, en tant qu'efficacité sémantique et activité cognitive et philosophique pour comprendre la vie, et ainsi l'interprétation a pu imposer ses mécanismes sur les champs de la connaissance religieuse, littéraire et philosophique à travers Investir dans les mécanismes de compréhension profonde du texte pour devenir la tâche de l'herméneutique en essayant de comprendre l'expérience humaine dans son ensemble, et l'interprétation est devenue une règle totale pour comprendre les textes et sa signification s'est élargie, en particulier avec Gadamer, qui a tracé un nouvel horizon d'interprétation qui l'a fait passer de la mythologie à l'épistémologie, une alternative compatible avec les caractéristiques des sciences humaines, et pour réhabiliter les méthodes philosophiques qui ont décliné devant les méthodes scientifiques.

**Mots clés:** Herméneutique ; compréhension ; méthode ; texte :vérité ; expérience humaine.

#### **مقدمة**

لم يُعدَّ التأويل محصوراً في الفروع المعرفية فقط، وإنما امتد ليشمل التجربة الإنسانية ككل، من خلال استثمار آليات الفهم العميق للنصوص والبحث عن الحقائق المضمرة فيها وتبسيط الضوء على مضامينها، لتصبح مهمة التأويل محاولة فهم التجربة الإنسانية، وأصبح التأويل له قواعد كلية لفهم النصوص لكن سرعان ما أخذ معناه يتسع خاصة مع غادامير الذي رسم لفلسفة التأويل أفقا جديداً وتحولاً عميقاً ويعدّ أيضاً تجربة استثنائية في الفهم الهرمينوطيقي، حيث أسس أرضية فلسفية متميزة فرضت هرمينوطيقاً خاصة تهتم بالعلوم الإنسانية، وفق رؤية فلسفية خاصة من خلال إشارته إلى أنه يتعين على الإنسانيات لكي ترتقي إلى مصاف العلوم، عليها بناء مناهج خاصة بها.

وبهذا يكون غادامير قد جعل السلوك الإنساني نقطة انطلاقاً لتأملاته الفلسفية وتأويلاته، إذ أنّ تأويلية غادامير تنطوي على حقيقة هي مساءلة العلوم الإنسانية والعلوم الروحية (الفكرية)، والفضل يعود إليه في قراءة وفهم الجوهر الإنساني، وبهذا أنجز غادامير انتقالاً هامة تمثلت في جعل الفهم مساراً منزهاً عن كل ما هو منهجي، ودخلت الهرمينوطيقاً مرحلة جديدة وهي فهم العلوم الإنسانية انطلاقاً من تجربة الفن والتراث واللغة، والفكرة الجوهرية عنده هي الفهم التأويلي الذي يكشف عن الحقائق المضمرة في النصوص بعيداً عن كلّ تقنيات العلم، متجاوزاً المنهج المحاكى للطبيعات، فما هي أهم الآليات والتقنيات التي اعتمدها غادامير في الممارسة التأويلية؟ وما هي القراءات التي قدّمها؟ وهل فعلاً الهرمينوطيقاً عملية تتجاوز حدود المنهج الصارم؟ وكيف يكون الفهم ممكناً في الدراسات الإنسانية والتجربة الإنسانية ككل؟

## 1- التأسيس الجينالوجي للمفاهيم (الهرمينوطيقا، المنهج، الفهم)

الهرمينوطيقا Hermeneutics أصل الكلمة من الفعل اليوناني Hermeneuein ويعني يفسّر والاسم Hermeneia ويعني تفسير، كليهما يتعلّق لغويا بالآله هرمس Hermes وظيفته يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يحول بخاطرها ثم يُترجم مقاصدها، بهذا فاللفظة بقيت عادة إلى تفسير نصوص قديمة من لغة أخرى، ومن ثمّ فهي تؤدي معنى الاتصال بشيء مغاير في صميمه ولكنه قابل للفهم (مصطفى ع.، 2007، الصفحات 24-31). وهو تحديد ميتولوجي لطبيعة الهرمينوطيقا، والأصل اليوناني للفظه هرمينوطيقا يوحي بعملية الإفهام وخاصة حينما تشتمل هذه العملية على اللغة، فاللغة هي الوسيط الأساسي في هذه العملية، هذا الإفهام الذي تتوسّطه اللغة هو العنصر المشترك في الاتجاهات الثلاثة لمعنى لفظة Hermeneuein ولفظة Hermeneia في الاستخدام القديم، هذه الاتجاهات الثلاثة للفعل يؤوّل في اليونانية هي: يعرّف، يشرح، ويترجم (مصطفى ع.، 2007، صفحة 33). ارتبطت الهرمينوطيقا بالشرح والإفصاح والإيضاح وهي ممارسات تأويلية للنصوص لكشف ما هو مستور وسريّ واللامنطوق وتأويل الخفي والمضمر والوقوف على خلفياتها.

وبهذا ترد كلمة الهرمينوطيقا Herméneutics إلى اللفظ اليوناني Herméneunien الذي يعني التأويل، والهرمينوطيقا تصف القضايا والمناهج التي لها صلة بالتأويل ونقد النصوص، وقد استعمل هذا المصطلح خصوصا في معرض الحديث عن الأعمال الثرية والشعرية لتعيين مجموع قضايا القراءة والفهم الخاصة بهذه الأعمال، وقد وُظّف أيضا بشأن كل أصناف الأعمال الفنيّة، والحكايات الأسطورية، والأحلام ومختلف الأشكال الأدبية واللغوية بشكل عام. والهرمينوطيقا تأمل فلسفي حول الرموز الدينية والأساطير، وكل صيغ التعبير الإنساني عامة (برمي ع.، 2010، صفحة 32). ومصطلح الهرمينوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسّر لفهم النصّ الديني (الكتاب المقدّس) (نصر حامد، 2014، صفحة 13)، وتشير الهرمينوطيقا بصفة عامة إلى التأويل-بمعناه العادي وليس السيميائي- وبشكل خاص تأويل النصوص الفلسفية والدينية. إنّها مبحث معرّفي يجاور ويقترب من السيميائيات Semiology (يقصد بالسيميائية خطاب، وهي منظومة من المفاهيم التي تمكّن من وصف آليات إنتاج الدلالة داخل موضوع ثقافي ما) في الحدود التي تتمفصل فيها النظرية العامة للمعنى مع النظرية العامة للنصّ (برمي ع.، 2010، صفحة 32)، وهي الفكرة التي أكدها بول ريكور كونها ترتبط باللغة التي تؤسس حقيقة الذات.

وقد وُظّف مصطلح الهرمينوطيقا أصلا في فلك الدراسات والأبحاث المهمة بالشأن الديني، وهي تشير إلى توجّه يعتمد التأويل. وينظر ريكور إلى التأويل بأنّه عمل الفكر الذي يتطلّب الكشف عن معنى باطن من خلال معنى ظاهر، ويقوم على بسط مستويات الدلالة المتضمّنة في الدلالة الحرفية (برمي ع.، 2010،

صفحة 33). تدلّ الهرمينوطيقا على ممارسة فكرية دليلها الآلية أو الفنّ، وهو ما يستحضره تشكيل اللفظ الذي يدلّ على التقنية Tekhne، يتخذ الفنّ هنا دلالة الإعلان والتراث والتفسير والتأويل ويشتمل على فنّ الفهم كأساس ودعامة له (غادامير، 2006، صفحة 61). وهذا يدلّ على التطوّر الدلالي لمصطلح الهرمينوطيقا بحسب السياق الذي صاحبه.

وإن كانت الهرمينوطيقا تدلّ على التأويل، فإنّ التأويل ورد في لسان العرب مادة أول، التأويل مشتق من الأول، وهو: يعني الرجوع، التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء، وبهذا التأويل يأتي بمعان عدّة: العودة والرجوع إلى الأصل، التدبّر والتقدير والتفسير، والتبيين (بريمي ع.، 2010، صفحة 23) وفي الصحاح للجوهري: أول، التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء وقد أولته تأويلا وتأولته بمعنى، تأول: أي تفسيره ومرجعه، آل: أي رجع (الجوهري، 2009، صفحة 64).

التأويل هو بحث عن اليقين المفهومي واستقصاء لممكنات الوجود الرمزية، فهو عمل رمزي بالأساس مختلف تماما عن التفسير الذي هو ربط للسبب بالنتيجة (بن عياد، 2012، صفحة 11). وهو فنّ الفهم، أو هو البحث في الشروط التي تجعل الفهم ممكنا، هو محاولة لفهم لا يقف عند حدود تعيين الأشياء في دلائلها المباشرة المنطوية على ذاتها، بل هو انخراط في صلب الرمزي والثقافي انطلاقا من معانٍ إضافية لها القدرة على التدليل والإحالة على قيم دلالية ممكنة خالقة لسياقاتها الخاصة (بريمي ع.، 2010، صفحة 24).

والتأويل لا يقف عند هذا المدلول بل هو كلّ فعل قرائي يروم بناء المعنى، استنادا إلى أدوات ومرجعيات وقواعد في العمل، والتزام مطلق بحدود البلاغة التأويلية، وهي خلاصة تجارب جماعية في تأطير الفهم وبلوغ الدلالة (بازي، 2010، صفحة 21)، والمفهوم الشائع في فكرنا الديني والفلسفي المعاصر يرى التأويل جهدا عقليا ذاتيا لإخضاع النصّ الديني لتصورات المفسّر ومفاهيمه وأفكاره (نصر حامد، 1983، صفحة 05)، فالمؤوّل في تعامله مع النصّ يتجاوز المعنى الظاهر ويتعامل مع معانيه الخفية والمضمرة أو خلفيات النصّ لكشف دلالاته، وهذا هو الفهم الهرمينوطيقي.

**المنهج Method:** الأصل الاشتقاقي للكلمة، طريق أو سبيل (odos) نحو (meta)، أي جملة من المسارات والإجراءات المنطقية التي تسمح بالتوصّل إلى غاية، ويشير إلى أداة عامة تقتضيها متطلبات الحياة والوجود ذاته (روس، 2020، صفحة 18)، والمنهج على العموم هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معيّنة، وبنظام معيّن، بغية الوصول إلى غاية معيّنة (وهبة، 2007، صفحة 628)، وبهذا فالمنهج هو الطريقة أو الأداة أو الوسيلة التي توصل إلى غاية وهدف، والمنهج هو السلوك النظري أو العملي الذي ينبغي أن نتوخّاه من أجل بلوغ غاية محدّدة، وكان لفظ المنهج يشير في القديم، لا سيّما عند أفلاطون، إلى البحث وإلى الطريق المتبعة في أثناء المعرفة، وكان أفلاطون يستعمل هذا اللفظ كمرادف للفظ المذهب، ثم ربط الرواقيون مفهوم المنهج بمفهوم تكني (Tekné)، كما ربطه فلاسفة القرون

الوسطى بمفهوم آرس (Ars)، جاعلين من المنهج جملة الطرق الصالحة في مجال ما للحصول على عناصر وأشياء جديدة، وشيئاً فشيئاً أصبح هذا اللفظ يستخدم عندما يقع تأمل البنية الصورية للعلوم (سعيد، 2004، صفحة 225).

**الفهم Understanding:** يطلق على إدراك موضوع التفكير وتحديدده واستخلاص المدلول من الدال عليه، ففهم اللفظ حصول معناه في النفس، فإن لم يحصل معناه في النفس بالقوة أو بالفعل كان كالألفاظ اللغات الأجنبية تسمعها ولا تدرك معانيها، والفهم تصوّر المعنى من لفظ المخاطب، أو هو حسن تصوّر المعنى، والفهم مرادف للإدراك ولقوة الذهن (Entendement) التي هي استعداد تام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر، وأعلى درجات الفهم أن تعلم أن ما تصرّح بفهمه لا يمكن أن يكون إلا كما فهمته (صليبا، 1982، صفحة 170)، ويعرّف هيرش فنّ الفهم في فلسفته بأنه يعني كشف المعنى الذي استُبطن في المتن عبر فهم مفرداته اللغوية والاصطلاحية والقرائن الخاصة (مرتضوي، 2015، صفحة 73)، كما عرّفه شلايرماخر بأنه قوة خاصة يمكن من خلالها النفاذ إلى ذهن الآخر، وعرّفه دلتاي بأنه درك تحليلات الحياة من خلال ذاتيتها العينية، والفهم عند هيدغر هو قدرة المرء على إدراك ممكنات وجوده ضمن سياق العالم الحيّاتي الذي وجد فيه، وهو شكل من أشكال الوجود في العالم (فتحي، 2015، صفحة 134)، والفهم عند غادامير هو قبل كل شيء امتلاك معرفة عن الموضوع نفسه، وثانياً استخراج رأي الآخر بما هو كذلك وفهمه، هكذا يظل الفهم المسبق من بين أول الشروط الهرمينوسية الذي يتولّد عندما نحاول أن نهتم بالشيء نفسه (بريمي ع.، 2010، صفحة 75).. وعن الفهم يقول غادامير: عندما نحاول أن نفهم نصّاً ما، فنحن لا نحاول أن ننقل إلى داخل عقل المؤلف، إنما نحاول أن ننقل إلى داخل المنظور الذي كوّن فيه المؤلف أفكاره، والفهم ليس صلة خفية بين الأرواح، إنما هو تقاسم معنى مشترك (غادامير، 2007، صفحة 400).

## 2- التّأويل الهرمينوطيقي من فنّ تفسير النصوص المقدّسة إلى منهجية للعلوم الإنسانية

ارتبط منهج التّأويل بإشكالية قراءة الكتابات اللاهوتية والنصوص المقدّسة، مما دفع أحد اللوثريين (نسبة إلى رائد الإصلاح مارتن لوثر Martin Luther 1483-1546م)، وهو ماتياس فلاسيوس M.Flacius إلى الثورة على سلطة الكنيسة في مسألة مصادرة حرية قراءة النصّ المقدّس ليقترح أولوية التراث في تأويل بعض المقاطع الغامضة من النصّ وطابع الاستقلالية في فهم محتوياته بمعزل عن كل إكراه أو توجيه قسري (شوقي الزين، 2015، صفحة 32). الممارسة التأويلية في بداياتها كانت لا تخرج عن دائرة الدراسات اللاهوتية فقد اهتمت بتفسير النصوص المقدّسة، أي تفسير النصّ الديني وفق قواعد وآليات، هذا النوع من الممارسة ذاع صيته في أوروبا في القرون الوسطى، ولكن "مواجهة سلطة القراءة الأحادية للنصّ سمحت لفلهم دلتاي (W.Dilthey 1833-1911م) بتأسيس مبدأ حديث في فنّ التّأويل: ينبغي أن

نفهم النصوص انطلاقاً من النصوص نفسها وليس اعتباراً من المذهب الذي تنتمي إليه، وإنما يستقل النصّ بحقيقته عن كل توجه يسجنه ضمن إطاره الخاص (شوقي الزين، 2015، صفحة 32).

وعليه فإنّ الفهم لا يستند في هذا الإطار على التفسير اللاهوتي في معالجة النصوص وإنما بالتطبيق المنهجي لقواعد التأويل من لغة ونحو ومنطق وترجمة وهو ما نسمّيه بالتأويل المطبّق، يعود الفضل إلى فلاسيوس في تأسيس حلقة التأويل التي تنتقل من الفهم الكلّي والشامل للمعنى الذي يحتزنه النصّ إلى فهم أجزاء هذا النصّ، وعليه ينشأ تأويل شبه دوري يستند فيه الفهم الكلّي للنصّ على فهم أجزائه وعكسه (شوقي الزين، 2015، صفحة 33).

ساق لنا دلّاي مثالا للتدليل على ذلك فيرى أنّ "تأويل الإنجيل ينبغي أن يفهم كل كتاب وكل مقطع في ضوء الدلالة العامة لمجموع الكتب، وهذه الدلالة الشاملة تتشكّل بالاستناد إلى فهم كل جزء على حدة (شوقي الزين، 2015، صفحة 33). ، ففهم النصّ لا يتمّ إلاّ انطلاقاً من فهم عناصره الجزئية وعملية الفهم والإيضاح تتم عندما تنتقل من الجزء إلى الكلّ، وهي الدائرة التأويلية التي سنتحدّث عنها لاحقاً عند غادامير، الغاية من مساءلة النصوص والخطابات هو الوقوف على أفعالها للكشف والإيضاح وتبيان رموزها ودلالاتها اللغوية لفهم أبعادها وفق آليات وممارسات تأويلية.

استمد التأويل الهرمينوطيقي جلّ شروطه من مركزية النصّ المقدّس، ومن تصوّر شائع مؤداه انطواء واشتمال هذا النصّ على مستويات متعدّدة من الدلالات الدينية، وهي دلالات ليست مباحة أمام الجميع، إلا لمن لديه من المعرفة والقدرة وما يتيح له سبر أغوارها، فالهرمينوطيقا اقتصرت في بادئ الأمر على تأويل النصوص الدينية، لكنها مدت نطاق اهتمامها بعد ذلك لتشمل كل أنواع النصوص الأخرى لغوية وغير لغوية، لم تعد الهرمينوطيقا مجرد تقنية مختصة ومقتصرة على مؤوّلّي الوحي والخرق، بل التأويل الأهم، هو الذي يضع نصب أعينه الإشكالية العامة للفهم (برومي ع.، 2010، صفحة 34). وبهذا بدأ الفعل الهرمينوطيقي مع النص المقدّس وانتقل في سيرورته من التفسير والفيلولوجيا philologie (فقه اللغة) إلى الفهم والتأويل، قصد تحليل وإبراز الحقائق التي تحجبها الخطابات والأبعاد التي يحملها النصّ وتفكيك بنياته الداخلية.

ويمكننا وصف الهرمينوطيقا كنظرية لتفسير الكتاب المقدّس، "فمع ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي ظهرت حاجة إلى تفسير الكتاب المقدّس دون عون الكنيسة، وبالنظر إلى تعدد التفسيرات الممكنة لأيّ نصّ إنجيلي فقد ألحت إلى تأسيس مبادئ أو معايير للتفسير الصحيح، وبينما جرت مياه كثيرة منذ ذلك الحين واعتبرت المشروع الهرمينوطيقي تبدلات واسعة من حيث المجال والمحتوى، فقد بقي مفهوم الهرمينوطيقا محتفظاً بإشارته الأولى بوصفه فنّ التأويل وعلمه، وحيثما نشأت قواعد وتفتّحت أحكام لشرح نصوص أو فهمها أو فك رموزها فثمّ علم التأويل أو الهرمينوطيقا (مصطفى ع.، 2007، صفحة 68). ثمة ما يبرّر هذه الأفكار ويشير إلى القطيعة التي أحدثها الكهنة البروتستانت (مصطلح لاتيني ومعناه المحتج والمعلن) مع سلطة الكنيسة

وحاولوا تفسير الكتاب المقدس، "بين عام 1720 و1820م لم يكن يمضي عام دون أن يظهر دليل تأويلي جديد ليُعين الكهنة البروتستانت في مهمتهم الملحة الجديدة (مصطفى ع.، 2007، صفحة 69).

في القرون الأولى للمسيحية والعصور الوسطى، تحوّر التنظير الهرمينوطيقي حول فهم النصوص الدينية، وبخاصة عبر تطوير آليات التفسير الاستعاري (يعود هذا النمط في تأويل النصوص الدينية إلى المنحى الرواقي في مقاربة الأساطير الإغريقية، الذي تمثله فيلون الإسكندري مستخدماً إياه في تفسير نصوص التوراة اليهودية) الذي يتلخص في استخراج معنى من النصّ المفسّر لم يقصده كاتبه الأصلي (تأليف جماعي، 2011، صفحة 48). أما اللاهوتيين المسيحيين الذين أحجموا عن تفسير الكتاب المقدس تفسيراً رمزياً مؤثري المنهج الحرفي، فقد استلهموا الطرائق الأدبية المعروفة في زمنهم والمستخرجة من الخطابة اليونانية وعلوم اللغة، من جهة أخرى، طوّعت علوم التفسير الإسلامي المعارف اللغوية العربية على اختلافها وجعلتها في خدمة استقراء النص الديني واستجلاء غوامضه (تأليف جماعي، 2011، صفحة 48). وتتميّز الهرمينوطيقا Hermeneutics عن التفسير Exegesis بأنها منهج هذا التفسير وأصوله وأحكامه، فإذا كان التفسير وقفاً على الشرح أو التعليق الفعلي، فإنّ الهرمينوطيقا هي قواعد هذا التفسير أو مناهجه أو النظرية التي تحكمه، وإذا كان هذا التعريف قد نشأ في حقل اللاهوت ونما بمقتضياته، فقد اتسع فيما بعد ليشمل الأدب ويشمل النصوص بمختلف أنواعها" (مصطفى ع.، 2007، صفحة 68). الممارسة الهرمينوطيقية في سيرورتها تشير إلى استحالة حصرها في مفهوم واحد وإنما بدأت أو تجلّت بداية في التفسير وذلك لارتباطها بالنصّ المقدس ثم تمّ استحداث رؤية مغايرة في قراءة النصّ ومساءلته لينتقل من التفسير إلى الفهم والتأويل، وبالتالي الانتقال من الحقل اللاهوتي إلى حقول متعدّدة أدبية وفلسفية ومعرفية... وغيرها.

لم تبرز الهرمينوطيقا كنظام فلسفي مستقل، يتجاوز في أغراضه ومراميه، نطاق التفسير الضيق للنصوص الدينية إلا في القرن التاسع عشر، وقد كان للمفكرين الألمان اليد الطولى في رفعها مرتبة الحيز الفكري القائم بذاته، بل وفي تطويرها أيضاً انطلاقاً من التغيّرات العميقة في إشكالية الطرح الفلسفي التي شهدتها القرن العشرون (تأليف جماعي، 2011، صفحة 45). ولم تبق الهرمينوطيقا نظرية تفسير للكتاب المقدس بل أصبحت منهج فقهي لغوي (فيلولوجي)، "فقد طوّر التأويل الإنجيلي تقنيات للتحليل اللغوي بلغت مستوى رفيعاً للغاية، وألزم المفسّرون أنفسهم أكثر من أيّ وقت مضى بمعرفة السياق التاريخي لروايات الإنجيل، مع هذه التطوّرات والمستجدات أصبحت مناهج تأويل الكتاب المقدس مرادفة جوهرياً لنظرية دنيوية في التأويل وأصبحت مناهج البحث في الكتاب المقدس متصلة بفقّه اللغة (مصطفى ع.، 2007، صفحة 71).

ثمّة ما يشير إلى أنّ الهرمينوطيقا انفتحت على المجالات المعرفية، وانتقالها في تطبيقاتها الحديثة، من مجال البحث في النصوص الدينية إلى دوائر أكثر اتساعاً ليشمل كل ما يتعلّق بالممارسة الإنسانية، سيّما إمكانية فهم أفضل للتراث الإنساني قديمه وحديثه، وكان من أوائل الهرمينوطيقيين الذين أولوا هذا الأمر عنايتهم، ومدّوا

نطاق التأويل إلى النصوص الديوبية المفكر الألماني شلايرماخر الذي مهّد البحث لمن جاء بعده خاصة ويلهلم دلتاي وغادامير" (برمي ع.، 2010، صفحة 34). وبهذا أصبحت الهرمينوطيقا تأويلا عالميا لا يقتصر على حقل معرفي محدّد وإنما يشمل كلّ التجارب الإنسانية، ومجمل الاتجاهات الفكرية والعملية التي تقتضي دوما قراءة وتأويل وفق تقنيات وآليات للقبض على المعنى واعطاء كل خطاب دلالة.

انبثقت الهرمينوطيقا من التفكير في فنّ تأويل النصوص وصحة العلوم الإنسانية، وتحولت بفضل ديلتاي ونييتشه وهيدغر إلى فلسفة تأويل كونية، وقد عرف تطورها امتدادا واسعا ظهرت نتائجه ومعالم تأثيره في فكر كل من غادامير وريكور. ووجدت كونية سلطان التأويل أول تعبير عنها في عبارة نييتشه Nietzsche: لا وجود للأحداث، بل للتأويلات فقط" (غروندان، 2017، الصفحات 135-135). بعدما ظلت التأويلية حتى القرن الثامن عشر فناً لتفسير النصوص، ثم تحوّلت إلى منهجية في العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر، أصبحت شيئا آخر مختلفا تماما في القرن العشرين، لقد صارت فلسفة بل مصطلحا شائع الاستعمال، وقد بذل جورج ميش G.Misch (تلميذ دلتاي) جهده ليقدم منطقا تأويليا يُظهر أنّ مقولات المنطق الأساسية ومقولات العلم تضرب جذورها عميقا في بحث عن فهم للحياة بحد ذاتها" (غروندان، 2017، صفحة 33). الهرمينوطيقا مشروع محوري في الثقافة الغربية لم يعد محصورا في الفروع المعرفية واللاهوتية فقط بل يتعامل مع كلّ الخطابات ويشمل كلّ الحقول والاتجاهات (اللاهوت، القانون، والأدب، والفلسفة...)

### 3- مقاربات فلسفية لنماذج في الفكر الغربي المعاصر حول تقنيات التأويل وآلياته

تتم المقاربات التي نقدّمها لنماذج غربية معاصرة بإشكالية التأويل وآلياته، وتجنح هذه الممارسات التأويلية بين الفقه اللغوي (الفيلولوجي) والفهم اللغوي والفهم التاريخي والفينومينولوجي والوجودي:

في فنّ الفهم (الفهم اللغوي)، افتتح شلايرماخر F.Schleiermacher (1768-1834م) عهدا جديدا من خلال توسيع حركة التأويل من قراءة النص المقدّس إلى فحص وتمحيص مختلف النصوص المرتبطة بميادين متعددة (الأدب، والفنّ، الفلسفة..)، شلايرماخر هو عتبة الانتقال من التأويل اللاهوتي إلى التأويل الفلسفي الإنساني، ولكن شلايرماخر لا يولي أهمية كبرى لشرعية الفهم وصلاحيته، وإنما يرتبط الفهم من منظوره بفردانية الفكر لشخص معيّن الذي يتلفّظ بخطاب معيّن ضمن سياق زمكاني خاص، وممارسة الفهم عنده على نوعين: فهم غير صارم يُجنّب من خلاله عدم الفهم، وفهم صارم يقرّ بحقيقة عدم التفاهم كظاهرة عادية وطبيعية وينصبّ اهتمامه على البحث عن فهم مشترك" (شوقي الزين، 2015، صفحة 34). اللافت للنظر هو أن التأويل ينطوي في مضامينه على التفكيك من خلال الوقوف على بنية النص الداخلية ومحاولة فهمها، "فالفهم عند شلايرماخر بوصفه فهما، هو عملية إعادة معاشة للعمليات الذهنية لمؤلف النص، المتحدّث أو المؤلف يبني جملة، وعلى المستمع أن ينفذ إلى داخل بناء الجملة وبناء الفكرة، وبذلك يتكوّن التأويل من لحظتين متفاعلتين: اللحظة اللغوية واللحظة السيكلوجية، أما المبدأ الذي تنهض عليه

إعادة البناء هذه بشقيها اللغوي والسيكولوجي، فهو مبدأ الدائرة التأويلية Hermeneutical-Circle (مصطفى ع.، 2007، صفحة 99)، وهذا يؤكد أنّ العملية التأويلية عند غادامير تمر بمرحلتين أساسيتين هما المرحلة اللغوية والمرحلة السيكولوجية، والفهم لا يتم إلا من خلالهما، فالقواعد اللغوية تمكن من الوصول إلى المعنى ضف إلى ذلك كل مل تشتمل عليه الحياة النفسية للمؤلف.

إن تحدثنا عن الهرمينوطيقا كعلم عام للعلوم الإنسانية (الفهم التاريخي)، فإننا نجد ولهام دلتاي W.Dilthey (1833-1911م) يؤكد أنّه إذا كان على التأويلية أن تركز على قواعد علوم الفهم ومناهجها، فإنّ بإمكانها أن تكون أساساً منهجياً لكل علم إنساني (الآداب، التاريخ، اللاهوت، الفلسفة وما يطلق عليه اليوم العلوم الاجتماعية)، بذلك أصبحت التأويلية تأملاً منهجياً يتناول الرغبة في الوصول إلى الحقيقة وإلى وضعية العلوم الإنسانية العلمية، وتريد العلوم الإنسانية فهم فردية تاريخية انطلاقاً من تظاهراتها الخارجية، وبهذا تكون منهجيتها إذاً منهجية الفهم (هدف التأويل هو فهم الفردية انطلاقاً من إشارات خارجية) (غروندان، 2017، الصفحات 11-28). وبهذا كان دلتاي قد نظّم علم الهرمينوطيقا كمنهج يجمع بين الفهم والتأويل في العلوم الإنسانية. ومع دلتاي أصبح لدينا هرمينوطيقا كونية، تعانق كل أشكال وتجارب الحياة الإنسانية، المقولة عنده هي الحياة أو التجربة المعيشة، التي يرى بأنها ذلك الشيء المشترك بيننا، الذي ينسج جميع النشاطات والتجارب الإنسانية، تجربة الجنس البشري كونية وعابرة لكل الثقافات والحواجز التاريخية. (جاسير، 2007، صفحة 134)، مشروع دلتاي الهرمينوطيقي جعله أساساً للعلوم الروحية بفروعها ومحاولة تشييد مناهج للوصول إلى فهم صحيح للظاهرة الإنسانية ولكي نفهم الإنسان يجب أن ننظر إليه ككائن تاريخي.

الظواهرية الهرمينوطيقية تبلورت مع فكرة إدموند هوسرل E.Husserl (1856-1938م)، الذي جعل الأنا يمثل مركز الوجود فقد "فتح من خلالها فهم الوجود كحضور، والظواهرية الهرمينوطيقية عند هوسرل تتجه إلى تحليل تاريخانية الأنا المتعالي الذي يرتبط بالوجود العام والمطلق ليس كشيء، وإنما كفكرة تجدد قوتها وفعاليتها في نظرية المعرفة التي تبحث عن ذلك الحوار الدائم بين الذات والموضوع، وأسس هوسرل لمعنى في الدرس الأنطولوجي مفتوح على التأويل للوجود الحقيقي والتاريخ ويتم ذلك انطلاقاً من مفهومه للزمنية كأساس مطلق آخر للوجود (مصطفى ت.، 2014، الصفحات 103-104). جعل هوسرل الفهم شكلاً من أشكال الاكتمال والنضج لأننا الأصل الذي هو موجود في الوعي، بدون أية غائية براغماتية أو نظرية، ومن هذا المنطلق يعتبر الفهم معبراً عن سلطة الأنا وقدرتها المتمثلة في فتح الإمكانيات، مفهوم الفهم عنده يرتبط بمفهوم المنهج، بمعنى آخر هو محاولة لتأسيس هرمينوطيقا خاصة بالعلوم، ترتبط بتيار الحياة وبالمثال والنموذج الذي ينبغي أن يكون، وحاول هوسرل أن يعرف الوجود في العالم من خلال مشكلة القصد والوعي (مصطفى ت.، 2014، الصفحات 102-104). فالتأويل هو بحث في القصدية أي تركيز الوعي على

موضوع ما من خلال علاقته بهذا الموضوع، فلا إدراك إلا بوجود الذات العارفة والموضوع المدرك، أي علاقة الوعي بالشيء الموجود ولا شعور إلا بشيء ما، وقد أشار هوسرل إلى أنّ التأويل يوصلنا إلى ماهية الأشياء لأنّ المنهج الظاهراتي يبحث في ظواهر الأشياء قصد الوصول إل ماهيتها.

أما فينومينولوجيا الفهم الوجودي (الدزاين Dasein) عند مارتن هيدغر M.Heidegger (1889-1976م)، فقد أسّس لهرمينوطيقا فلسفية فينومينولوجية من خلال استفادته من الظاهراتي هوسرل لكنّه خالفه وانتقده في فكرة الذاتية المتعالية التي جعل منها هوسرل أساسا للوجود، وأقر بالصلة الوثيقة بين الهرمينوطيقا ونظرية الوجود، وبهذا يكون قد "أنجز هيدغر انتقالا هامة تمثلت في جعل الفهم مسارا أنطولوجيا، إذ أفاد من المنعطف الفينومينولوجي "الهوسرلي" وزوّده بالبعد الهرمينوطيقي ليجعل من الفهم غاية وطبيعة الوجود الإنساني في العالم (المحمداوي، 2014، صفحة 43). وفينومينولوجيته تبدأ من هنا "الدزاين والسؤال عن الوجود هي المسألة الأساسية عنده، والدزاين ليس إلا امتلاك فهم عن الوجود (فتحي، 2015، صفحة 131). هنا تتحد الفينومينولوجيا مع الهرمينوطيقا فتصبح فهما وتفسيرا وتوضيحا لمعنى الكينونة، وهو تضاف ساهم في فهم المسألة الأنطولوجية، ومسيرة هيدغر الفلسفية تؤكد اهتمامه بالهرمينوطيقا والنقد التاريخي من أجل تحديد أنطولوجي لبنية الفهم، ويشير هيدغر في أحد نصوصه: "إنّ الهرمينوطيقا ليست دائرة مفرغة، بالعكس إنّها دائرة تخفي وراءها إمكانية وضعية لمعرفة الأصل وبموجب هذه الإمكانية يمكن للتأويل أن يفرض نفسه كفضاء لما هو علمي وبالتالي يتحرّر من سيطرة الحدوس ومصطلحات المعرفة الشعبية وهذا الطابع العلمي في التأويل لا يكون إلا من خلال عالم الأشياء نفسها. إنّ هذا التصريح النصّي لهيدغر لا يشكّل في المرحلة الأولى إلزاما يخص استعمال الفهم لكنه يصف حالة الاكتمال للتأويل الفهمي نفسه (مصطفى ت.، 2014، صفحة 92).

الهرمينوطيقا عند هيدغر تشير إلى واقعة الفهم بما هو كذلك، لا إلى المنهج التاريخي في التأويل كمقابل للمنهج العلمي، واعتبر أنّ كل فهم هو شيء متأصل في الطبيعة التاريخية للفهم الوجودي (مصطفى ع.، 2007، صفحة 271)، لذا عُدّ هيدغر مرجعية فكرية وأرضية انطلق منها غادامير لتأسيس تأويليته الفلسفية، وتتجلى الممارسة التأويلية عند هيدغر في اعتباره أنّ "النصّ ظاهرة تتجلى لذات القارئ بمجرد اصطدامه بالنصّ، ولعلّ أبرز ما نادى به مقولة الدزاين (الوجود هنا)، فالوعي الأنطولوجي هو امتياز الإنسان في كل زمان ومكان، فهو الكائن الذي يتّسم بالإدراك والقدرة على التخيل والفهم، فتشغله قضايا الوجود الراهن، ومعنى هذا انفتاح فنّ التأويل على مختلف نشاطات الفكر الإنساني وممارساته، لذا جاءت الهرمينوطيقا لتتّوج الجهود المعرفية لهيدغر في الاستعانة بالممارسة التأويلية بمنأى عن الصرامة الإبستمولوجية، ولتقديم رؤية واضحة عن العالم بشكل لا يدع الوهم يتسرّب إلى الذات" (فارس، التأويلية عند غادامير، قراءة في المرجعيات والمنظومات والآليات، 2015، صفحة 191).

استثمر هيدغر الظاهراتية في أعماله بصورة واضحة، وقدم صياغة جديدة لها متجاوزاً المثالية التي وقع فيها هوسرل، هذه الظاهراتية منهج ضروري وفعال للنظرية التأويلية من خلال فهم الوجود الإنساني الذي يتحوّل فيه الوجود إلى موضوع قابل للقراءة والتحليل والكشف وكأنّه بنية لغوية تخضع للترجمة والفهم، وركز هيدغر على الدزائن كونه يُفهم وجوديا وله أبعاد أنطولوجية هي أساس النظرية الهرمينوطيقية تتمثل في ما حدّده هيدغر "الوجود في العالم، الوقائية، الإلقاء، الوجود الأصيل، الإسقاط" (راد إلهي، 2019، صفحة 111). نظرية هيدغر الهرمينوطيقية مبنية على عناصر تأويلية تجلّت عنده في: "ماهية الفهم، اللغة، العالم والفهم، قليات الفهم، تاريخية الإنسان" (راد إلهي، 2019، صفحة 114)، وهي مقولات مختلفة ولكنها تفي بغرض الفهم والتأويل والغاية من ذلك المساهمة في المسألة الفلسفية لسؤال الوجود الإنساني (الدزائن) أو البحث عن معنى الكينونة.

يعتبر رودولف بولتمان R.Bultman (1884-1976م) من كبار اللاهوتيين والنقاد الإنجليين، لذا قدّم إسهاما من الدرجة الأولى لقراءة تاريخية نقدية للنصّ التوراتي، من خلال إصراره على الأساليب والأنواع الأدبية في النصّ المقدّس، وفكّر في التأويل الوجودي الهيدغري الذي قدّم وصفا محايّدا للوجود الإنساني، أن يستعمله في عمله التأويلي، كان أول من استخدم أفكار هيدغر في حقل التفسير، والتأويل هو ما يكون موجها بسؤال محدد، ذلك يعني لا وجود للفهم دون فرضية مسبقة، الفهم يكون موجها نحو شيء النصّ، نحو رهانه، لا إلى حياة الكاتب النفسية" (غرونجان، 2017، صفحة 51)، الغاية من ذلك البحث عن الحقائق المضمرّة في النصوص وتبسيط الضوء على مضامينها، كما أنّ بولتمان رسم مساراً للتأويل من حدود النصوص الدينية إلى الفلسفة والنقد...، وهي تحولات هامة لإشكالية التأويل.

تقوم فكرة بول ريكور P.Ricoeur (1913-2005م) على وجوب التفكير في تأويليتين معا (الشك والثقة)، التأويلية التي تستخلص المعنى كما يتحصّل في الوعي مع توقّع التوجّه، والتأويلية التي تُقيم مسافة مع تجربة المعنى المباشر من أجل إيصاله إلى تدبير أكثر سرّيّة" (غرونجان، 2017، صفحة 82). دافع ريكور عن فكرة الانعطاف التأويلي في الظاهراتية، هذا الانعطاف ينطلق من استحالة الوصول المباشر إلى الظواهر وإلى الأنا بالذات، وهو يرى أنّ ما قامت التأويلية بتدميره، لم يكن الظاهراتية، بل أحد تأويلاتها، وبالتحديد التأويل الجانح للمثالية عند هوسرل بالذات. فالتأويلية لا تقوم على فكّ الرموز المزدوجة المعنى، بل هي تتناول جملة المعنى القابل للفهم الذي بإمكاننا أن نسمّيه نصّاً" (غرونجان، 2017، الصفحات 85-91). تأويلية ريكور هي فينومينولوجيا بامتياز، لكنها إزاحة نقدية للمتعاليات المجردة لمذهب هوسرل Husserl، فهي تأويلية فينومينولوجية بالمعنى الذي تربط فيه لغة الرمز بفهم الذات، ويعتبر ريكور أنّ أهمية اللغة التي تؤسس حقيقة الذات لا تكمن فقط في النسق المغلق للعلامات وإنما تقصد شيئا وتفتح عالما" (شوقي الزين، 2015، صفحة 69).

اللافت للنظر أنّ شلايرماخر أسّس لنظرية الفهم من خلال قوله أنّ الهرمينوطيقا هي فنّ الفهم، ولا يمكن الوصول إلى هذا الفهم إلاّ بواسطة هذا الفنّ، وفي مقابل ذلك نجد دلّتي قد أسهم بصورة استثنائية للفهم الهرمينوطيقي من خلال بذل جهد للتمهيد لمناهج تأويلية للعلوم الإنسانية، وجعل من الفهم جوهر التأويل، وأسّس هوسرل لهرمينوطيقا فينومينولوجية من خلال أبحاثه المنطقية وجعل المنطق الظواهري مركزاً للتأويل وأساساً له، أما عن بولتمان يبدو أنّه كان متأثراً بالفكر الفلسفي الوجودي، وبالتحديد هيدغر وهذا يوحي بأنّ هرمينوطيقا بولتمان كانت تنقّب داخل النصّ عن موضوعات مرتبطة بحياتنا هنا والآن، واكتشاف لمعنى الوجود الإنساني، غير بعيد عن ذلك، فقد رأى هيدغر أنّ الفهم هو القوام الوجودي للدّواين والأساس لأيّ علم ومعرفة، لأنّ كلّ العلوم هي مظاهر للدّواين الذي يتقوّم بالفهم، في حين نجد ريكور أكّد أنّ الهرمينوطيقا هي عملية لفكّ الرموز انطلاقاً من المعنى الظاهر وصولاً إلى المعنى الخفيّ والمستور والمضمر، كل ذلك جعل من غادامير يتحدّث عن كونية مشكلة التأويل بمعنى لغوي فكل تأويل يفترض اللغة، وأسّس لهرمينوطيقا من الحقيقة والمنهج، وجعل من الأحكام المسبقة شرطاً ضرورياً للفهم.

#### 4- تجليات الفهم في التجربة الإنسانية عند جورج غادامير وتجاوز أزمة خطاب المنهج

إنّ الحديث عن التأويلية الفلسفية عند غادامير H.G.Gadamer (1900-2001م) لا يمكن فصله عن الإرث الفلسفي الذي تناول بالدراسة والبحث وهذا من خلال التأويلية الرومانسية ممثلة في دلّتي وشلايرماخر، كما لا يمكن أن نفصلها عن المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل والتأويلية الأنطولوجية ممثلة في هيدغر، هذه المنطلقات التي مثّلت الأرضية التي أنشأ من خلالها غادامير تأويليته (عارف، 2009، صفحة 31)، وهي مرجعيات تأويلية بامتياز في الفكر الفلسفي المعاصر وهو فكر ما بعد حداثي الذي أخذ التأويل فيه منحى أكثر عمقاً، فقد كان هاجس هذه الثّلة من الفلاسفة البحث عن آليات وتقنيات لإدراك الحقيقة في العلوم الإنسانية.

استطاع غادامير بسعيه الدؤوب طيلة قرن من الزمن أن يطوّر هرمينوطيقا فلسفية للعلوم الإنسانية من خلال تقنيات جديدة أو مستحدثة وجعل الفهم آلية لقراءة النصوص ومساءلتها وكشف حقائقها المضمرّة وأعاد الاعتبار للحقيقة، وبالتالي أخرج الحقيقة من محيطها الضيق إلى محيط أكثر اتساعاً يشمل التجربة الإنسانية ككلّ، وبهذا كان قد جعل من الفهم قاعدة لتأمّلاته الفكرية والفلسفية، كيف ذلك؟ إذ "يرمي كتاب الحقيقة والمنهج إلى فكّ الارتباط بين الحقيقة والمنهج، وقد كان هذا الارتباط واقعا في العلاقة بين المنهج والعلوم الطبيعية، غير أنّ الأمر مختلف، بحسب غادامير، في حالة العلوم الإنسانية، فغادامير لا يرى ضرورة أن يوصل المنهج إلى الحقيقة، وبالمقابل، هو يعدّ المنهج شيئاً ينبع من الذات ليوصل إلى نتيجة، هذه النتيجة لا تعني الحقيقة أبداً كما هو الحال في العلوم الطبيعية، وبغية القضاء على دوغمائية ارتباط الحقيقة بالمنهج، لم يجد غادامير ضرورة في أن تكون الحقيقة مرهونة بالمنهج، وهذا الأمر هو الذي أثار حفيظة غير واحد من نقاد غادامير متهمين إياه بتحطيم الصلة الجوهرية بين المنهج والحقيقة (غادامير، 2007، صفحة

(52). وهذا يشير إلى انفلات السلوك الإنساني (بأبعاده: التاريخية، النفسية، والاجتماعية) من الدراسة العلمية بعد استحالة تطبيق المنهج التجريبي عليه كما في العلوم الطبيعية، إذ شتان بين الظاهرة الإنسانية والظاهرة الطبيعية (خصوصية العلوم الروحية والفكرية يحول دون التمكن من تطبيق المنهج التجريبي على غرار علوم المادة الحية والجمادة)، وهو ما دفع غادامير إلى خلق آليات وتقنيات لكشف الحقائق وتيقن أن الحقيقة ليست دوماً مرتبطة بالمنهج العلمي، وعلى ضوء هذا "تفهم الإشارة إلى أنّ واو العطف في عنوان كتاب الحقيقة والمنهج لا تعني العطف، بل الانفصال، انفصال الحقيقة عن المنهج، ومن هنا جاء اقتراح عنوان جديد لكتاب غادامير: "الحقيقة أو المنهج". فألاً ترهن شيئاً بشيء لا يعني أن تفصله عنه، بل يعني ألا تضع التلازم بينهما. ليست الحقيقة سوى حدث المعنى، أو حدوثه، الحقيقة انكشاف (أليثيا)، كشف التلاقي بين التاريخ والتراث وأسئلة الحاضر، وانصهار أفق الحاضر بأفق التاريخ والتراث، إنها الحوار بين الماضي والحاضر (غادامير، 2007، صفحة 16).

تبدو استراتيجية غادامير محكمة لفكّ ألغاز السلوك الإنساني وفهم التجربة الإنسانية (الفلسفة، الفنّ، التاريخ...) من خلال انتاج تأقلي وفكري يُعيد الاعتبار للحقيقة معتبراً الفهم كأساس للعملية التأويلية وتركيزه على اللعب والأحكام المسبقة والتراث...، و"الهرمينوطيقا ليست منهجاً للحصول على الحقيقة، إنها في نظر غادامير، ليست منهجية للعلوم الإنسانية ولكنها محاولة من أجل فهم ما في الحقيقة، وما يربطها بكلية تجربتنا في العالم، فهي تقوم على استراتيجية تنفلت من المنهجية" (بن جيلالي، دت، صفحة 139)، متجاوزاً بذلك غادامير فكرة الصرامة في المنهج، مقوضاً الزعم القائل بأنّ القبض على الحقيقة في التجربة الإنسانية أمر غير ممكن، واستراتيجيته هذه "تقوم باستدراج الوجود إلى اللغة لتستطيع الإمساك بالكائن وفكره من خلال إشارته، وعلاماته وإحالاته داخل عالم اللغة أي عالم النصّ. لقد استلهم غادامير المرجعية الهايدغرية المتمثلة في المنعطف الأنطو-فينومينولوجي وذلك ليقرب مسار المعنى-فهم، إلى فهم-المعنى نحو معنى المعنى أو فهم الفهم، وهذا مردّه كينونة الإنسان بما هو وجود في العالم" (بن جيلالي، دت، صفحة 139). ظاهرة الفهم لا تتخلل جميع العلاقات الإنسانية في العالم فقط، بل إنّ لها شرعية مستقلة ضمن العلم أيضاً، وهي مقاومة أية محاولة لإعادة تأويلها بموجب منهج علمي. ويحاول غادامير تقويض مزاعم المنهج العلمي الشاملة، من خلال تجربة الحقيقة التي تتعالى على حقل المنهج العلمي أينما وجدت تلك التجربة، وتهتم بالبحث في شرعيتها. من هنا فإنّ العلوم الإنسانية مرتبطة بأشكال من التجربة تقع خارج العلم، أي أنها ترتبط بتجربة الفلسفة، والفنّ، والتاريخ نفسه، وهذه هي جميع أشكال التجارب التي بلغتها حقيقة معيّنة بحيث لا يمكن التثبت منها بوسائل منهجية مناسبة للعلم (غادامير، 2007، الصفحات 27-28). التأويل عند غادامير يكون فيه المقياس هو الشيء نفسه (La-chose-meme) وليس الإقرار بحقيقة الشيء في نفسه (La-chose-en-soi)، ولذا يقول غادامير: ينبغي لفنّ التأويل أن ينطلق من مسألة

أنّ الفهم هو الوجود في علاقةٍ مع الشيء نفسه، وعلى هذا الأساس يميّز غادامير بين نوعين من الفهم: الفهم الجوهرى وهو فهم محتوى الحقيقة، الفهم القصدي وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف" (بن جيلالي، دت، صفحة 141)، إذ الممارسة التأويلية هنا هي خلق نمط تعبير جديد عن الوجود والعالم والفهم ما هو إلا ترجمة وتبيين وتوضيح للنصّ وفهم واقع الإنسان ووضعه في هذا الوجود، وبلغ الفهم في التجربة الإنسانية ذروته مع غادامير.

تمحورت إشكالية التأويل عند جورج غادامير في جدلية الحقيقة والمنهج، ويكمن نشاط التأويل عنده في عالمية اللغة كتواصل وحوار وبالتالي مجاوزة التصوّر المعياري الذي يجعل منها مجرد لعبة العبارات وسحرية البلاغات والمنطوقات. كلّ حقيقة لغوية أو تاريخية أو فنية تتقيّد بالسياق (مساحة التواصل والتناهي) والاستعمال (التطبيق والتوظيف والانتاج)، قوام الحوار كما يؤكد غادامير هو السؤال، بمعنى التبادل والتداول والتحوّل" (شوقي الزين، 2015، صفحة 62). وتلعب اللغة دوراً بالغ الأهمية في الممارسة التأويلية إذ أنّها كشفت للوجود والعالم، "فاللغة يتحقّق بموجبها التفاهم والحوار، وثقّم المتحاورين (النصّ والمؤوّل) في نشاط إنتاجي من السؤال والجواب، وتدخلهم في سيرورة الفهم وتجسّد فعل الفهم ومهارة التأويل" (بريمي ع.، 2010، صفحة 79). الفهم عند غادامير آلية تتحدّد فيما هو لغوي جدي تاريخي، "فالمسألة التاريخية تقتضي وضع مسألة فهم اللغة بحوار الفهم التاريخي والفهم الجمالي، إنّ اللغة هي شرط إمكان ترنسندنطالي Transcendental للاعتقاد التأويلي الذي يُحدث التوافق بين المؤوّل والمؤوّل" (قارة، 1998، صفحة 57)، (ترنسندنطالي: مصطلح وضعه المدرسيون ليدلوا به على ما يتجاوز مقولات أرسطو، ويلائم الموجودات جميعها كالواحد والحقّ والخير، وأطلقه كانط E.Kant على ما يخص الفكر وحده وينصب على المبادئ والصوّر الأولية ويقابل التجريبي (مذكور، 1983، صفحة 43). أسّس غادامير مشروعاً أنطولوجياً لعملية الفهم، أي تفسير الفهم على أنّه عملية أنطولوجية كامنة في الإنسان ذاته، ويحاول تسليط الضوء على ظاهرة الفهم نفسه. وبهذا يظل غادامير وفيّاً للمنحى الأنطولوجي الذي رسمه هيدغر والمتمثّل في مسألة اللغة والتناهي الذاتي الذي تكشف عنه التجربة التاريخية وهرمينوطيقا الفهم وفهم الذات على وجه الخصوص، وهو ما أسماه هيدغر بالمنعطف الأنطولوجي الحاسم Wendung-Ontologische في تجربة الفهم الذاتي (غادامير، 2006، صفحة 13). وقد اعتمد غادامير في مفاهيمه التأويل على المنظومات المعرفية الثلاثة الآتية: 1- الفهم التاريخي، 2- اندماج الآفاق، 3- إقصاء الذات، وهنا يرى غادامير أنّ النصّ ينعزل عن منتجه، فيصبح قائماً بذاته، مستقلاً عن مبدعه عند الشروع في تأويله مباشرة، وحدّد ثلاث دوائر تختصر آليات التأويل عنده، وتحدّد الخطوات المتتالية في القراءة وتتمثّل في: 1- الدائرة الجمالية، 2- الدائرة التاريخية: 3- الدائرة اللغوية، وتعدّ هذه الأخيرة دائرة التأويل بامتياز، فاللغة هي الوسط الذي تجري فيه عملية الفهم والافهام (فارس، 2015، الصفحات 192-196)، وبهذا فاللغة

شرط أساسي للحوار وتصبح وسطاً مشتركاً يقحم النصّ والمؤول في عملية الانتاج والفهم الهرمينوطيقي ويظهر ما كان متخفي.

إنّ ما يجعل من مسألة بلوغ الفهم ممكنة هي اللغة، التي توفر الوسيط، أو الأرضية الوسطى، والمكان الذي يحدث فيه الفهم، اللغة هي وسيط التواصل الذي يقيم الأرضية المشتركة (غادامير، 2006، صفحة 25). هذه اللغة بمثابة سيورة كونها تربط بين النصّ والمؤول ويتحقّق بموجبها الفهم، بيد أنّ غادامير يؤكّد أنّ هذه الأرضية لا يؤسّسها أي اتفاق أو عقد اجتماعي يمكن التفاوض بشأنه سلفاً، ولا تؤسّسها أية حالة نفسية من حالات التقمّص أو التعاطف، بل هي تستند كما في حالة اللعب، إلى الإرادة المشتركة للأطراف المندرجة في المحادثة بأنّ يسلسلون قياد أنفسهم لبزوغ شيء آخر، موضوع يحضر ويعرض في المحادثة، لا يفكر غادامير باللغة ككيان أو شيء للدراسة العلمية، إنّما هي تلازم فعل النطق، ومن ثم فهي حدث، وشيء تاريخي (غادامير، 2006، صفحة 25)، فاللغة تمثّل نظام يحمل معنى متعدّد ومختلف بحسب الذات القارئة وهي ذات المؤول، وتُسهم بامتياز في ربط الحوادث الماضية بالحاضر وعليه فإنّها تنقل التراث، من أجل الظفر بحقيقة إنسانية.

حاول غادامير تقديم رؤية مستحدثة ومغايرة في قراءة النصّ ومساءلته إذ فلسفته تعتبر "إطاراً جديداً في الوعي لاستقبال النصوص، من خلال إعادة فهم الفهم ذاته أي باعتباره فنّاً، والفرنّ باعتباره الفعل التخيلي الأكثر قدرة على فتح الذات بشكل واسع على آفاق النصّ ومكوناته وغاياته ومراميه، وهذه ميزة جديدة للوعي بالذات، وتغيير لهدف الفكر بالتأويل، الذي ليس منهجاً نستطيع تعلّمه وتطبيقه على حقل من الموضوعات، فهناك كذلك تطبيق لتجربة عملية معتمدة على التأمل الباطني المحايث للذات" (نادر، 2022، صفحة 163)، والتجربة الفنيّة بترائها الرومنسي أي التفكير المستبق بحالة شاعرية للتمثّل، تسمح للذات بالإصغاء والإنصات إلى مستوى الإفلات من اللوغوس من أجل التعايش الراهني الآني معاً للحظة التاريخية والفعل التاريخي الذي لا يخضع لنظرية، والطابع الفنيّ الوجودي يدشن مسيرة تعمل في كل قراءة وفهم للمكتوب على رفع ما هو محجوب ومتخفي ودفين وثابت في النصّ إلى قراءة جديدة معبرة وهادفة وذات مغزى، وهذا ما يصبو إليه الفكر الغاداميري" (نادر، 2022، صفحة 163)، إذ أنّ تجربة الفنّ تؤسّس بالنسبة للوعي العلمي-التحريض الأكثر حضوراً- على إعادة معرفة حدوده المحضة، وإلى تقليص إمكانات وجوده، وخاصة في مجال العلوم الإنسانية أو علوم الفكر، ومجال التجربة الفنيّة بالخصوص، وهذا ما يبرّر مؤلف غادامير "الحقيقة والمنهج"، أي تصويب الهرمينوطيقا، لأنّه لا يمكن استقبال اللغة في نصيّتها بدون التلوّن بجماليّتها، هذا التلوّن يقرأ على عكس مستوى الوعي بالوجود، لكنّه يتلاشى إلى حدّ الإنمحاء في دوال الفهم عندما نحاول التعبير عما نفهمه أي أننا لا نعيد صبغ اللون الجمالي على مستوى خطاب الفهم، بل في دوال الفهم تنكشف الحقيقة داخل النصّ وتظهر (نادر، 2022، صفحة 164)، وقد أبان غادامير

في مقدمة مشروعه الهرمينوسي كيف يمكن للعمل الفني أن يصبح وسيطاً ناقلاً لتجربة الحقيقة، وهي تجربة ينبغي النظر إليها خارج مجال العلم، وقد مكّنه هذا من تحديد موقع العمل الفني والنظر إليه باعتباره تجربة وجودية، أي تجربة لبناء المعنى لحظة إنتاجه وتداوله وتلقيه، وتلقي معنى العمل الفني لا يمكن أن يتم في ذاته، بل لابدّ من حوار بين هذا العمل ذاته والمتلقي (برمي ع.، 2010، صفحة 75)، وأنّ تجربة الفنّ هذه هي في حقيقتها تعبير عن حقيقة الوجود واطهار للحقيقة.

نظر غادامير للهرمينوطيقا من خلال موضوعاتها بعمل خاص، أو إجراء ويتمثل الأمر باستعادة الهوية الحقيقية لكل عمل فنيّ، أي البحث عن الكينونة الأصلية للعمل الفنيّ، وهو ما يعبر عنه في فكرة تجاوز الدائرة الجمالية، من جهة، ومن جهة ثانية، محاولة إبعاد الهرمينوطيقا عن كلّ محاولات التعقيد التي تسير التأويل مساراً آخر غير الذي يرمي إليه، أو جعله تطبيقاً لبرنامج "منهجي" خاضع لنظام من القواعد شبيهة بتلك التي استعانت بها العلوم الطبيعية، أي الوصول إلى الحقيقة العلمية التي تشكّل يقيناً يخصّ جوهر الظاهرة (نادر، 2022، صفحة 178). والهرمينوطيقا هي دراسة لفهم الأعمال الإنسانية، فإنها تتجاوز الأشكال اللغوية للتفسير، ولا تنطبق مبادئها فقط على الأعمال الفنيّة، بل تأخذ عدة أبعاد، ولذلك فهي أساسية بالنسبة لكلّ العلوم الإنسانية التي تهتم بتفسير أعمال الإنسان وصولاً إلى فهم أفضل لها (نادر، 2022، صفحة 178)، فالسلوك الإنساني بأبعاده المتعدّدة ذو معنى ودلالة تنبثق عن الفهم.

#### خاتمة

ليس هناك أرضية وفاق بين النماذج الغربية في التجربة التأويلية، فهناك قراءات مختلفة، ولا يمكن حصر الهرمينوطيقا في اتجاه محدّد بل تشمل سائر الاتجاهات، ولكن هناك تأثير وتأثر بين نماذج الثقافة الغربية المعاصرة في المسار التأويلي، وهي أرضيات ومنطلقات ارتكز عليها جورج غادامير لتأسيس تأويليته برؤية جديدة تنمّ عن نظريته العميقة منطلقاً من التجربة الإنسانية ككلّ (الفنية والتاريخية واللغوية...) معتبراً إياها شرطاً للفهم وإنتاجاً للمعنى كما يعتبرها أكثر الحقول التي تخضع للفهم والتأويل، وكيف تتمظهر الحقيقة في هذه الحقول والتجارب الإنسانية.

- أسّس غادامير لاستراتيجية تأويلية لا تنفي المنهج وإن كانت الحقيقة برمتها لا تستلزم دوماً منهجاً يقوم على أسس علمية صارمة، وأنّ المنهج بدوره لا يقوّض الحقيقة، ووصل إلى فكرة جوهرية هي أنّ الهرمينوطيقا استطاعت تجاوز أزمة خطاب المنهج في الثقافة الغربية المعاصرة، ويكون بهذا قد أسهم غادامير بصورة استثنائية الفهم الهرمينوطيقي من خلال البحث عن مناهج تأويلية للعلوم الإنسانية، وجعل من الفهم جوهر التأويل، متجاوزاً بذلك أزمة المنهج حينما حاول البعض إخضاع السلوك الإنساني لقوانين العلوم الطبيعية وتفسيره بناءً على التقنية العلمية.

-هرمينوطيقا غادامير كانت تنقّب داخل النصّ من خلال موضوعات مرتبطة بالتجربة الإنسانية، واكتشاف معنى الوجود الإنساني، فيتحدّد دور الهرمينوطيقا في فهم الذات الإنسانية لذاتها وللآخر. وتحديث غادامير عن

كونية مشكلة التأويل بمعنى لغوي فكلّ تأويل يفترض اللغة وبهذا يكون قد بيّن عملية الفهم في الدائرة اللغوية كون اللغة تسهم في كشف الحقيقة، وأسّس لهرمينوطيقا من الحقيقة والمنهج، وجعل من الأحكام المسبقة شرطاً ضرورياً للفهم.

-تأويلية غادامير تنطوي على فهم الذات وفهم الآخر لاستيعاب الواقع المعيش، فقد رسم منحى تأويلي برؤية جديدة وتصوّر مغاير مشيراً إلى أنّ المنهج الصارم والدقيق ليس دوماً الجسر الآمن لبلوغ الحقيقة، بل الحقيقة لا تحتاج إلى مثل هذه المنهجية التقنية وإنما تحتاج المرونة والتكيف مع كلّ الآليات، ووقف غادامير على فكرة هي أنّه شتّان بين الظاهرة الطبيعية القابلة للتشريح والتفسير بإرجاعها إلى عللها والظاهرة الإنسانية القابلة للفهم، وهو المنعطف الذي أفرز أزمة خطاب المنهج في الفترة المعاصرة، وبهذا يكون غادامير قد سحب الهرمينوطيقا من حقل الميتودولوجيا إلى مجال الإستيمولوجيا.

### قائمة المراجع

- ابراهيم مذكور. (1983). المعجم الفلسفي. القاهرة: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأمير.
- أبو زيد نصر حامد. (1983). فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين ابن عربي (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر.
- أبو زيد نصر حامد. (2014). إشكاليات القراءة وآليات التأويل (الإصدار ط1). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- أبي نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري. (2009). الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية (الإصدار دط). القاهرة: دار الحديث.
- إبن حديد عارف. (2009). التأويل عند هانز جورج غادامير. قسنطينة: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة جامعة منتوري، أطروحة ماجستير.
- تأليف جماعي. (2011). التأويل والهرمينوطيقا، دراسات في آليات القراءة والتفسير (الإصدار ط1). بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- تيلوين مصطفى. (فيفري، 2014). تأثير المنهج الظواهري على الهرمينوطيقا (إدموند هوسرل وهانس جورج غادامير). مجلة لوغوس (الثاني)، الصفحات 103-104.
- جاكلين روس. (2020). المناهج في الفلسفة (الإصدار دط). (عبد العزيز ركح، المترجمون) بيروت، لبنان: مركز نماء للبحوث والدراسات.
- جلال الدين سعيد. (2004). معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية (الإصدار دط). تونس: دار الجنوب.
- جميل صليبا. (1982). المعجم الفلسفي. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.

جون غروندان. (2017). *التأويلية* (الإصدار دط). (جورج كتورة، المترجمون) الامارات العربية: دار الجديد المتحدة.

خدايار مرتضوي. (2015). *التأويلية والمنهجية في العلوم الإنسانية*. مجلة *قراءات معاصرة* (الأول)، صفحة 73.

دايفيد جاسير. (2007). *مقدمة في الهرمينوطيقا* (الإصدار ط1). (وجيه قانصو، المترجمون) الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم.

صفدر راد إلهي. (2019). *الهرمينوطيقا: منشأ المصطلح ومعناه واستعمالاته في الحضارة الإنسانية المختلفة* (الإصدار ط1). (حسنين الجمال، المترجمون) بيروت: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

عادل مصطفى. (2007). *فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير* (الإصدار ط1). القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

عبد الله بريعي. (2010). *السيورة التأويلية، في هرمينوسيا هانس جورج غادامير وبول ريكور* (الإصدار ط1). الإمارات العربية المتحدة: دائرة الثقافة والإعلام.

علي عبود المحمداوي. (فيفري، 2014). *ماهية الهرمينوطيقا: ارتحال المعنى وفلسفة التجوّل التفكير مع غادامير وهابرماس وضدهما*. مجلة *لونغوس* (الثاني)، صفحة 43.

علي فتحي. (2015). *مدخل لتأويلية هيدغر*. مجلة *قراءات معاصرة* (الأول)، صفحة 134.

فاطمة نادر. (2022). *أزمة خطاب المنهج في الهرمينوطيقا المعاصرة "هانس جورج غادامير نموذجاً"*. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، شعبة فلسفة.

لزهرة فارس. (جوان، 2015). *التأويلية عند غادامير، قراءة في المرجعيات والمنظومات والآليات*. مجلة *فتوحات* (الثاني)، صفحة 191.

محمد أمين بن جيلالي. (دت). *غادامير وسؤال المنهج في الفكر الغربي المعاصر*. مجلة *الجمعية الفلسفية المصرية* (26)، صفحة 139.

محمد بازي. (2010). *التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات* (الإصدار ط1). الجزائر، لبنان: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ناشرون.

محمد بن عياد. (2012). *في المناهج التأويلية* (الإصدار ط1). صفاقس، تونس: التسفير الفني.

محمد شوقي الزين. (2015). *تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر* (الإصدار ط1). بيروت: منشورات ضفاف.

مراد وهبة. (2007). *المعجم الفلسفي* (الإصدار دط). القاهرة، مصر: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

نبيهة قارة. (1998). *الفلسفة والتأويل* (الإصدار ط1). بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

هانس جورج غادامير. (2006). (محمد شوقي الزين، المترجمون) الجزائر، لبنان: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ناشرون.

هانس جورج غادامير. (2006). فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف (الإصدار ط2). (محمد شوقي الزين، المترجمون) الجزائر، بيروت: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم.

هانس جورج غادامير. (2007). الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية (الإصدار ط1). (حسن ناظم، المترجمون) طرابلس: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية.